مدرسة التحليل النفسي

نشأت مدرسة التحليل النفسي في أحضان التطبيق الطبّي، فقد قدّمت إسهامًا علميًّا أهّلها للانضمام إلى علم النفس. وانتقل تأثيرها إلى مجالات كثيرة، منها مجال علم الاجتماع. يُمكن تسمية مدرسة التحليل النفسي بتسميات عديدة، فهي مدرسة سيكولوجيّة السلوك بالرغم من بُعدها عن النظرة السلوكيّة، وتسمّى بسيكولوجيّة الأعماق لاهتمامها الكبير باللاشعور، أو بسيكولوجيّة المشاعر لكونها خالفت سيكولوجيا القرن 19م التي اهتمّت بالعقل وحده. فمدرسة التحليل النفسي هي ثورة ضدّ الاتّجاه الجسدي، نتيجة أنّ بعض الأشخاص الغير أسوياء لا توجد عندهم آفات دماغيّة ممّا يُجبِر على البحث عن أسباب مرضهم في حياتهم النفسيّة، وفي عاداتهم الخاطئة في التفكير والعمل، وفي ضعف إرادتهم وفقدانهم لتوازنهم العاطفي. ومن أهمّ روّادها **سيجموند فرويد**، يهودي أوربي، وُلد في تشيكوسلوفاكيا، عاش طفولته في فيينا ودرس الطبّ بها وعمل في المخبر الفيزيولوجي ستّ سنوات، ثمّ عمل طبيبًا وتابع دراسة الجملة العصبيّة وتشريحها وأمراضها. ثمّ ذهب إلى **شاركو** في باريس وتتلمذ على يده لمدّة سنة وعاد بعدها إلى فيينا، زار مدرسة نانسي ولم يعجبه عملها. استفاد من **جوزيف بروير** الطبيب النمساوي والفيزيولوجي، حيث تعاونا على دراسة الأمراض العصبيّة، فوجد **بروير** أنّ المريضة الهستريائيّة تشعر بتحسّن عندما تتحدّث أثناء التنويم عن مرضها، لكن سرعان ما تخلّى عن تلك الطريقة، لأنّ المريضة التي عالجها **بروير** وقعت في غرامه وصرّحت بأنّها لا تستطيع التخلّي عنه (وجد **بروير** في ذلك خطرًا)، فتابع **فرويد** العمل بها. وحين تعرّض **فرويد** لما تعرّض له **بروير**، ناقش المسألة فوجد أنّ عشق النسوة للطبيب المعالج ليس عشقًا لشخصه وإنّما لاتّخاذهنّ إيّاه بديلًا عن موضوع حبّهنّ الأوّل [1]. وكانت الخطوة التالية أن يتخلّص **فرويد** من التنويم المغناطيسي لينتقل إلى طريقة جديدة ابتكرها وعُرفت باسم التذكّر الواعي [2]

1- صلاح الدين شروخ: **مدخل في علم الاجتماع -للجامعيّين-**، **مرجع سابق**، ص133،134.

2- فاخر عاقل: **مرجع سابق**، ص177.

أو طريقة الترابط الحرّ، وبطء هذه الطريقة قد أوصل **فرويد** إلى اللاشعور مباشرة، ووجد بالتفكير والاختبار أنّ أحلام المريض تعلن لا شعوره، فشرع بدراسة الأحلام وتتبّعها بطريقة الترابط. وفي عام 1900م أصدر **فرويد** كتابه "تفسير الأحلام" وتلاه كتاب آخر "علم النفس المرضي للحياة اليوميّة" عام 1901م، حيث شرح فيه هفوات اللسان والذاكرة، وقد تتالت كتبه بعد ذلك وأصبح مدرسة سيكولوجيّة صريحة.

وضع **فرويد** نظريّته في بنية النفس وأنّها ثلاثيّة الأبعاد (ألهو، الأنا والأنا الأعلى)، وصرّح بأنّ الرغبات المكبوتة والمركّبات النفسيّة هي نتيجة لتحليله للأعراض العصبيّة والأحلام والهفوات والمزاج، وهي في الغالب ذات طبيعة جنسيّة. ولكن المبدأ الأساسي في فكر **فرويد** هو أنّ المريض يحتاج أن يعرف طبيعة مرضه وإلى إحياء الخبرة الأصليّة التي تسبّب المرض والارتفاع بها إلى مستوى الشعور لتخليص المريض من مركّبه، وبذلك ساعد في شفاء حالات الشلل الهستيري، المخاوف العصبيّة، الغيبوبة والكبت بأنواعه المختلفة. وافترض **فرويد** أنّ المركّب الأصلي ليس إلّا نتيجة لصدمة عاطفيّة تلقّاها المريض، قد تكون خياليّة أو واقعيّة، وحسبه دائمًا فإنّ الذاكرة لا تموت تمامًا [3]. نستنتج أنّ أسس الفرويديّة هي الجنس، الطفوليّة والكبت. وحسب **فرويد** فإنّنا لم نتعلّم المخاوف بالارتكاس الشرطي، وإنّما لأنّها تخفي رغبات لا يوافق المجتمع عليها، فالخوف هو قناع للرغبة. كما أرجع جميع العلاقات الإنسانيّة إلى الليبيدو (الغريزة الجنسيّة)، ويقصد بها طاقة الميول التي تعود إلى كلّ ما يشمله لفظ الحبّ، وهي طاقة تُعتبر كأنّها مقدار كمّي ولكن يصعب قياسها [4]. ويشبّه **فرويد** التنويم المغناطيسي بحال الحبّ من حيث أنّه لا يتعدّى بالذات أو الأنا أو الموضوع، ولكنه يستند إلى نوازع جنسيّة مكبوتة. كما تلعب الرموز دورًا هامًّا في النوم، فالرموز في الأحلام هي نتاج الرقابة التي تمنع الرغبات المستترة من الوضوح الشعوري، وتلعب دورًا هامًّا في الحياة الاجتماعيّة. أمّا تفسير

3- **المرجع السابق**، ص183.

4- عبد الكريم اليافي: **تمهيد في علم الاجتماع**، المطبعة العموميّة دمشق، د.س، ص452.

الدين عند **فرويد** فهو مرض عصابي أساسه الأفكار المتسلّطة، وهو ما يعطي الدين –حسبه– القوّة والسلطان. [5]

وباختصار فإنّ **فرويد** يفسّر أصل المجتمع ومختلف مظاهر الحضارة بنزعات الليبيدو التي هي قوّة حياة فطريّة، ويميّز إلى جانبها غريزة الاعتداء أو الإتلاف والموت، فيقوم المجتمع بتوجيه الأفراد إلى العدوان على المجتمعات الأخرى.

وعمومًا، فإنّ نظريّة **فرويد** لم ترضِ علماء النفس ولا علماء الاجتماع، وهو نفسه **(فرويد)** يذكر أنّها عبارة عن محاولة في التفسير، وينطبق على نظريّته ما ينطبق على كلّ التفسيرات التي حاولت تفسير الظاهرة الاجتماعيّة عن طريق الحالات الفرديّة، لأنّ الحالات الاجتماعيّة ذات صفات مميِّزة لها عن غيرها.

5– حسن شحاتة سعفان: **تاريخ الفكر الاجتماعي والمدارس الاجتماعيّة**، دار النهضة العربيّة، القاهرة–مصر، 1976م، ص392.